



التشابكات الأجناسية بين النصوص المحكية التراثية
والسردي الروائي - دراسة تطبيقية مقارنة

Gender Entanglements between the traditional Narrative
Texts and the Novel - a Comparative Applied Study

عماري فاطمة

جامعة علي لونيسي، البلدية 2 (الجزائر)، ef.ammari@univ-blida2.dz

ملخص:

تسعى هذه المقاربة منهجيا تفعيل عمليات المقارنة والتصنيف والفرز لمضامين نماذج سردية مختارة بهدف تحديد الانتماء التجنيسي لنص سردي تراثي هو ألف ليلة وليلة، بحثا عما يبيح لنا تصنيف هذا الأثر الجمالي الضخم. من خلال الاجابة عن سؤال مهم: ما هو جنسه الأدبي؟. سنحاول الاشتغال وفق هذا الطرح الإشكالي، بدراسة العلاقة الناشئة بينه وبين نصوص سردية أخرى متفق على ارتباطها بجنس معين، كالرواية والملحمة، استقراءا للتشابكات الأجناسية بينها، وهو ما يقتضي تأسيس معايير منهجية قائمة على بيان أوجه الاتفاق والاختلاف، معتمدة على ما جاء به المنظر ميخائيل باختين في سياق معالجته لمفهوم الرواية.

كلمات مفتاحية: أدب مقارن؛ الأجناس الأدبية؛ الرواية التاريخية؛ الملحمة؛ ألف ليلة وليلة؛ باختين.

Summary::

This approach depends methodically on activating the process of comparison of the contents of the narrative texts you have chosen in order to determine the sexual affiliation of a heritage narrative text that is The Thousand and One Nights, so that we can classify this huge aesthetic

text. By answering an important question: What is its literary genre? We will try to work According to this problematic proposition, by studying the relationship arising between it and other narrative texts whose literary genre is known, such as the novel and the epic, an extrapolation of the gender entanglements between them, which requires reliance on feasible analytical procedures. According to theorist Mikhail Bakhtin, in the context of his treatment of the concept of the novel.

Keywords: Comparative literature; literary genres; historical novel; epic; One Thousand and One Nights; Bakhtin

1. مقدمة:

تتعلق نظرية الأجناس في الأدب بمقاصد تصنيفية تُساهم في ترتيب الظواهر الأدبية، بهدف ضبطها وتصنيفها وفق مقولات نظرية خالصة، ومجموعة آثار يتم تعيينها بطريقة إجرائية داخل الإنتاج الأدبي، ويتم التعرف عليها بفضل الأغراض المشتركة⁽¹⁾، كما تقتزن أهمية مقولة الجنس الأدبي في سياق نظرية الأدب انطلاقاً من فاعليتها في ضبط الخصوصية النوعية للنصوص، وكذا في دورها الفعال في عملية رصد وفهم الواقع الأدبي وما يحتويه من مظاهر وقضايا جوهرية⁽²⁾، وتبرز فاعليتها في كفاءتها المنهجية على اكتشاف حضور نوعي لجنس ما، في مجتمع ذي ثقافة وتراث وتاريخ له خصوصية قومية محددة.

إنّ المحتوى الحكائي لنص ألف ليلة وليلة نموذج من نماذج عديدة لا بد من تحديد انتماءاتها النوعية وتعيين ارتباطاتها العلائقية داخل جنس أدبي ما، لمعرفة طبيعتها فماهيتها، من خلال التفكير في الهوية الأجناسية لهذا النص، إلى أي جنس أدبي ينتمي؟.

سنحاول الاشتغال وفق هذه الإشكالية، متسائلين عن موقع متنٍ حكاوي ألفليلي يتصل بحكاية "عمر النعمان" ضمن المنظومة الأجناسية، وهي واحدة من الحكايا الطويلة في ألف ليلة وليلة، تمتد من منتصف الليلة الستين لتنتهي في الليلة السابعة والسبعين بعد المائة⁽³⁾، نصٌ قصصيٌّ احتوى على عدد كبير من الشخصيات والأحداث والوقائع، فيها ذكر لأماكن تحيل إلى مسار تاريخي سابق.

إن دراسة العلاقة الناشئة بين هذا النص ونصوص أدبية أخرى كالرواية والملمحة تقتضي تأسيس معايير نوعية تنطلق من زوايا منهجية تتغيا حقيقة هذه الصلة، لذا ستقوم هذه الدراسة منهجياً على عملية المقارنة النصية، المستندة في جوهرها على شقين يتجسدان في البحث عن الملامح المشتركة المتشابهة، والبحث عن الملامح المختلفة المغايرة، بين نص "ملحي" وآخر "روائي"، إجابة عن الإشكالية المطروحة، لذا ارتأينا انتقاء متون

التشابهات الأجنبية بين النصوص المعكبة القرائية والسرد الروائي - دراسة تطبيقية

مقارنة _____ (المجلد الثاني عشر / العدد الرابع / ديسمبر 2023)

تضمن لنا أكبر قدر من التشابهات والتقاطعات مع النص المُقارن به المتمثلة في النص الملحمي "الشاهنامة، ملحمة الفرس الكبرى" لأبي القاسم الفردوسي⁽⁴⁾، والنص الروائي "الحروب الصليبية كما رآها العرب" لأمين معلوف⁽⁵⁾.

2. إمكانية الانتماء الروائي:

1.2 الأثر الروائي المشابه:

ترتبط هذه الجزئية من البحث بعملية رصد أهم ملامح التوافق المتوافرة في النصين (الرواية/ حكاية عمر النعمان)، قصد التحقق من إمكانية إنضائها -الحكاية- ضمن الجنس الروائي، مع تقصي العوامل التي باستطاعتها تحديد إنتمائها إليه من عدمه، ثم إنَّ المتأمل لمحتوى النصين يلاحظ توفر متشابهات عديدة، تشكّل في جوهرها عناصر الربط الأولية بينهما والمتعلقة في صميمها بالمضمون السردى، المتجلي فيما يلي:

1/: تركز البنية السردية في النصين على موضوع أساسي، مرتبط بعملية سرد لأحداث ووقائع تنتهي إلى ماض قومي لأمة معينة، فحكاية عمر النعمان تروي أحداث قصة ملك ظهر قبل خلافة عبد الملك بن مروان، تجسد الصراع الناشئ بين ولديه والروم المتسببين في موته، أما رواية الحروب الصليبية فتنتطلق من فكرة سرد قصة الحروب الصليبية كما عاشها وروى تفاصيلها العرب تعتمد على شهادات مؤرخين عاشوا الحدث من أمثال ابن الأثير، ابن القلانسي، ابن كثير، يرصد فيها معلوف أهم الأحداث التاريخية التي مرت بالمسلمين خلال قرنين من الزمن، تصب في إبراز الصراع القائم بينهم وبين الإفرنج الغاصبين للأرض المقدسة. إذن فالمشترك التيمي بارز في الرواية برصدها لوقائع تاريخية جرت خلال فترة زمنية معروفة بين المسلمين والإفرنج، وفي حكاية عمر النعمان برصد لأحداث دامية وقعت بين المسلمين والنصارى من الروم.

2/: يتشكل المبنى الحكائي للنصين ويستند على عملية توصيفية لتجليات الصراع القائم بين المجموعات البشرية المتنازعة، بدءًا بوصف المعدات الحربية كالجيوش والمعارك وما يترتب عنها من القتل والأسر البائنة في مقاطع سردية عديدة: ففي حكاية عمر النعمان: «وعادوا إلى الحرب والطعان، واشتد النزال وتقصفت النصال وبطل القيل والقال فلا يرى إلا الآدم سائل وعنق مائل ولا يزال السيف يعمل في الأعناق، واشتد الشقاق إلى أن أكثر الليل فنادوا بالانفصال»⁽⁶⁾، أما في الرواية: «كان الجيش المسلم الكبير يبدي وهو يغادر

الموصل مشهدا باهرا بلماعات رماحه التي لا تحصى تحت أشعة الشمس وبراياته السوداء، شعار العباسيين والسلاجقة، وهي تخفق وسط بحر من الفرسان الملتفين بالبياض»⁽⁷⁾.

3/: يعتمد كل نص لتبيان مظاهر الصراع بين الأطراف المتعادية أساليب المناورة كاستعمال الحيل والمكائد الحربية ودسّ الجواسيس في صفوف الخصم، إذ تبرز في حكاية عمر النعمان مكيدة العجوز ذات الدواهي المتمثلة في السفر بجوار حسنات مطلعات على الإرث الثقافي العربي الإسلامي إلى عمر النعمان مع التنكر في هيئة عجوز عابدة زاهدة للتمكن من قتله⁽⁸⁾، أما في الرواية فتبرز مثلا في حيلة صلاح الدين في منعه ماء طبرية عن الجيوش الإفريقية حين عسكر قدامها، فمنع وصولهم إليها من دون مواجهتهم وقتالهم⁽⁹⁾.

4/: في كل نص تتواتر ملامح الصراعات الداخلية بين الملوك والأمراء ومحبي السلطة، البائنة في رغبتهم في اعتلاء العرش والمجسدة في الانقلاب على الحكم أو قتل الحاكم وأسرهم أو تسميمه، ففي حكاية عمر النعمان برزت نية شركان في قتل أخيه من صفية الذي سيشكل خطرا منازعا له في الملك⁽¹⁰⁾، أما في الرواية فقد ظهرت في مقاطع مثل: «ولكنه ليس بالمغفل لينخدع بمظهر وحدة الإمبراطورية التركية، فأبناء العمومة السلاجقة لا يعرفون بينهم أي تكاثف، إن على المرء أن يقتل ليبقى على قيد الحياة»⁽¹¹⁾، وانقلاب قطز على حكم ابن أيك⁽¹²⁾.

5/: تبرز تيمة الثأر جليا في كلا النصين، ثأرا لقتلى من أبناء الملوك والأمراء أو انتقاما لحدث أو اعتداء ما أو ردًا على هزيمة سابقة، ففي حكاية عمر النعمان يبرز ثأر ضوء المكان وأخيه شركان من الروم لقتلهم عمر النعمان، وانتقام ذات الدواهي من شركان بعد أن قُتل أفريدون على يد أخيه ضوء المكان، أما في الرواية فظهر بثأر قلع أرسلان من الإفرنج بعد هجومهم على أسوار عاصمته نيقية⁽¹³⁾، وانتقام مسعود لهزيمة أبيه قلع أرسلان بعد مرور أكثر من خمسين سنة⁽¹⁴⁾.

إذن وبعد إحصاء أمثلة عن نقاط التوافق بين النصين، هل يمكن لنا اتكاء على ما ورد أن نقول أن هذا النص الألف ليلي ينتسب إلى جنس الرواية؟

يستحيل ذلك حاليا لسبب بسيط يتعلق بخصوصية النص الروائي، فالرواية كانت وما تزال الجنس الأدبي الوحيد الأكثر انفتاحا وقابلية لاستيعاب كل الموضوعات والأشكال والأبنية الجمالية، وما ذكرناه من حلقات التوافق وعلامات التشابه لا تبيح لنا الجزم في مسألة انتمائه الروائي. إن التيمات المتوافرة في النصين والتي تشكل في ذات الوقت الحيز

التشابهات الأجنبية بين النصوص الملحمية القرائية والسرد الروائي - دراسة تطبيقية

مقارنة _____ (الجلد الثاني عشر / العدد الرابع / ديسمبر 2023)

المتشابه بينهما مرتبط بخصومية الجنس الروائي، باعتبار «الرواية النوع الأدبي الوحيد الذي لا يزال في طور التكوين والنوع الذي لم يكتمل بعد»⁽¹⁵⁾، ذلك أنّ موضوعات كالتأثر والصراعات داخل القومية الواحدة ووصف المعارك وما يرتبط بها من المسائل تعد مواضيع عامة، لها الأحقية التامة في التواجد داخل النص الروائي، ولن يعتبرها أحد نقاطاً جوهرية تميز الرواية عن بقية الأجناس الأدبية، فلا هي من الثابت ولا هي من الجوهري، اللذين تتغير بغيابهما حدود الجنس الروائي، لذا لابد لنا من عملية رصد مغايرة لعلامات أخرى قد تساعدنا في التحقق من الإمكانية أو عدمها.

2.2 الأثر الملحمي المغاير:

من الملاحظ أن هناك نقاطاً إختلافية عديدة بين نص حكاية عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان ونص الشاهنامة الملحمي، لكن سنكتفي برصد الملامح ذات الأهمية القصوى فقط، التي تبرز فيما يلي:

1/: توافر قيمة النبوءة المنعدمة تماماً في النص الحكائي عمر النعمان، التي تعتبر من السمات المميزة لجنس الملحمة إذ «تتحقق النبوءة الملحمية تماماً في إطار الماضي المطلق وحدوده، وإن لم تتحقق في هذه الملحمة أو تلك فإنها تتحقق على الأقل في حدود الخرافات التي تتضمنها»⁽¹⁶⁾، منها: نبوءة مجيء الملك أفريدون الذي يطيح بالضحاك⁽¹⁷⁾، ونبوءة مجيء رستم الذي يملأ الدنيا مهانة وقهراً وشهامة وفخراً⁽¹⁸⁾.

2/: الملمح الأسطوري القائم على الخرافة المتواجد في الشاهنامة بكثرة، الذي يبرز في مظاهر عديدة نذكر منها:

— التفسير الأسطوري للظواهر الكونية التي تعبر عن معتقدات الشعوب في العهود البدائية، والتي تظهر تصورها الخاص لنشوء الظواهر الطبيعية، وقد وردت في الشاهنامة مقاطع سردية كثيرة تبرز ذلك، منها مثلاً ارتباط اكتشاف النار بقضاء أوشهينج على حية عظيمة عينها كبرك الدم ولهيبها دخان أسود يغطي العالم بدكنته، فهي الحادثة التي كانت سبباً في تعظيم الفرس للنار⁽¹⁹⁾، وارتباط ظهور الخط والكتابة بمحاربة طهمورت للجن، الذين تمردوا على حكمه، فانتصر عليهم وأسره وجعل فديتهم تعليمه الكتابة، فكان بذلك سبباً في انتشار الخط بين الخلق⁽²⁰⁾.

– القدرات الخارقة لأبطال الملحمة التي كانت سببا في اشتهارهم بصفات يعتبرها مجتمعهم مثيرة للإعجاب فأفعالهم تفوق القدرة البشرية كالتحول وكذا قوتهم البدنية الخارقة، نذكر منها: قدرة ملك مدينة مازندان على التحول إلى صخرة صماء هروبا من بطش رستم⁽²¹⁾، ووصف قوة رستم الذي ولد كأنه ابن عشر سنين وما كاد يبلغ ثماني سنوات حتى صار كالنخل الباسق والصخر الشاهق، وكان لا يحمله مركوب غير الفيل لضخامة جثته وقوة أكتافه⁽²²⁾.

– ميزة طول العمر الخاصة بأبطال الملحمة، الساردة لعهد عديدة متوالية لملوك كثار، حتى بدو في صور كائنات خرافية، مثل البطل الأسطوري رستم بن زال فقد عايش عهود أكثر الملوك، فلو عمدنا إلى إحصاء السنوات التي عاشها لفاق عددها الألف، امتد عمره من عهد منوچهر إلى غاية كشتاسب، أي بعد انقضاء حكم ست ملوك.

– التوظيف الخرافي لعالم الجن والعفاريت والأغوال الذي يبرز صراع الإنسان ضدهم وقدرته الفعالة على قهرهم مثل: مقاتلة أوشهنيج للجنّي قاتل أبيه سيامك على رأس جيش مؤلف من الجن والحيوانات الضارية والأليفة⁽²³⁾، وتمكن رستم من القضاء على السبع الهارب والثعبان الهائل والساحرة الشمطاء بعد أن مرّ بطريق الشياطين والسباع والضباع⁽²⁴⁾، وقتاله لعفاريت الجن والشياطين بغية تخليص ملكه كيكافوس من الأسر⁽²⁵⁾.

من الملاحظ أن كل المسائل المثارة سابقا، والجامعة لمعالم الاختلاف بين حكاية عمر النعمان وملحمة الشاهنامة تفضي مبدئيًا إلى انفصالها عن الجنس الملحمي، استنادًا على ما أشرنا إليه من مضامين أسطورية ليس لها نظير مقابل في الحكاية، ذلك أن أصل الملحمة يتجسد في الأساطير القومية، باعتبار «أنّ الماضي الملحمي لا يحافظ على نفسه ولا يتجلى إلّا في شكل الأسطورة القومية»⁽²⁶⁾، ذلك أنّ «الارتكاز على الأسطورة هو جزء لا يتجزأ من شكل الملحمة، وأنّ الخطاب الملحمي هو خطاب يتجلى بالأسطورة»⁽²⁷⁾.

كل هذا يفضي إلى تمييزها واختلافها عن المتن القصصي في حكاية عمر النعمان، غير أنّ هذه المعالم المجسدة للفئة المغايرة غير قادرة على تحديد انتمائها للجنس الروائي، فلعل نقاطا مشابهة أخرى قد تحيل إلى آراء مختلفة عما ذكرنا، ذلك أنّ للملحمة سمات أخرى غير التوظيف الأسطوري قد نتلمس بعضها فيما هو آت.

3. إمكانية الانتماء الملحمي.

3.1 الأثر الملحمي المشابه:

تتلخص المظاهر المشابهة بين النصين (الشاهنامة/ حكاية عمر النعمان) في شقين أساسيين هما كالتالي: شق مشابه تشترك فيه نصوص المدونة الثلاث وتتقاطع فيما بينها تقاطعا بارزا للعيان، وشق مشابه خاص بالملحمة والنص الألف ليلي فقط، وبحثا عن مقارنة نصية فعالة تتسم بالمنهجية وعدم الخلط بين الأشياء، لابد من التفصيل في محتوى القسمين.

1/: المشترك بين النصوص الثلاثة: تبرز في عناصر متنوعة ذات صلة وشيجة بمضمون

الجزئية الأولى من البحث، فالنص الملحمي يسرد مجموعة وقائع وأحداث تشكل في الأساس تاريخ الأمة الإيرانية، لم تترك حادثة من تاريخ بلاد فارس والبلدان المجاورة لها أو المتشابهة معها إلا واحتوته، عبرت فيها عن مغامراتهم الحربية الطويلة ضد أعدائهم من الصين والترك والعرب، فصوّرت الحروب والمواقع والمعارك الضروس، كما أنها تُظهر بعض الصراعات الداخلية، المتجلية في المطامع الذاتية لبعض الشخصيات في اعتلاء العرش كقتل الأخوين سلم وتورا لأخيهما أيرج⁽²⁸⁾، وطلب كشتاسب من والده أن يسلمه زمام الحكم⁽²⁹⁾، وقتال فيروز لأخيه هرمز لأجل الإستلاء على العرش⁽³⁰⁾، كما أنها أبانت عن دور الحيل والمكائد والاعتماد على الجواسيس في النصر على العدو والتفوق على الخصوم.

وكل ذلك يؤكد تواجد تقاطعات تشابهية كثيرة بين المتن الروائي أولا، والمتن الملحمي ثانيا، مع النص المقارن به، ثم إنّ هذه التيمات المشكّلة للحيز المتشابه مرتبطة بخصوصية الجنس الروائي، القابل لاستيعاب كل الموضوعات والتقاط مختلف مشاكل الواقع، مما يجعلها صعبة التحديد وغير قابلة للتقنين مقارنة بالأجناس الأدبية الأخرى: «فهي بطبيعتها غير قابلة للتقنين، إنها قابلة التشكل بالذات، هي نوع يبحث بشكل دائم ويحلل ذاته دائما، ويعيد النظر في كل الأشكال التي استقر فيها»⁽³¹⁾، ذلك أن سيرورة تشكّل الرواية لم تكن قد انتهت ولم تنته بعد⁽³²⁾، فهي النوع الأدبي الوحيد الذي لا يزال قيد التكوين⁽³³⁾.

لذا لن نعتبر هذا المشترك البائن مخلا بأسس وفاعلية المقارنة، ذلك أن لكل جنس أدبي خصوصية لا بد من مراعاتها، مع وجوب الحيلة من الوقوع في مزالق منهجية قد تنتج عن قلة وعي بمدى تأثيرها، المتعلق بنوعية الجنس الأدبي، خاصة وأنّ الرواية على خلاف الأنواع الأدبية الأخرى لا تمتلك قوانين خاصة ومحددة⁽³⁴⁾، كما يمكن تبرير هذا التوافق والاشتراك التيمي

الجلي على مستوى النصوص الثلاث بالمحتوى الروائي لنص الحروب الصليبية، المنزل ضمن سياق النوع التاريخي لجنس الرواية.

فما الذي يميز الرواية التاريخية كنوع روائي مقارنة بنظيراتها، ضمن جنس أكبر هو الرواية؟!.

قدم جورج لوكاش توصيفا للرواية التاريخية الحقبة في معرض مقارنته لرواية المخطوبات للكاتب الإيطالي مانزوني بأعمال الإنجليزي والتر سكوت، بأنها « رواية تثير الحاضر ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق بالذات»⁽³⁵⁾، فلتكتسب الرواية هذا التوصيف "التاريخية" لا بد لها من أن تتكى على عملية سرد لحقبة موثقة من التاريخ، تمثل مادتها الحكائية وعمودها الأساسي في بناء الأحداث الروائية، لتجعل منها عملا أدبيا خالصا⁽³⁶⁾، فالرواية التاريخية تتضمن تصويرا لتاريخ أمة ما، أي أنها تحكي واقعا حياتيا معيناً، له خصائصه وسماته المميزة، ولن نختلف أبداً في كون موضوعه التاريخ من أبرز القضايا المتناولة والمناقشة في السياق النقدي والأدبي، فالتاريخ قضية حاسمة تدرج ضمن جمل قضايا العصر، وبالتالي فإن الاهتمام بالماضي التاريخي للأمم اهتماماً أدبيا روائياً يُجسد قدرة الرواية على التفاعل مع مسائل العصر ومشاغله وهمومه.

2/: المشترك الثنائي (ملحمة / حكاية): المتجلي فيما يلي:

- المبالغة الشديدة في وصف مخلفات الصراع القائم بين المجموعتين البشريتين المتنازعتين، الظاهرة في وصف المعارك وصفا مضخماً للغاية، فنجد في حكاية عمر النعمان: «ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومعتلون بالرماح وحاملون السلاح، وانتشرت الخلائق في الربا والبطاح، وصاحت القسوس وكشفت الرؤوس وتوجهت الجموع، وبرقت شهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على الرجال والفرسان وطارت الرؤوس عن الأبدان وخرست الألسن وتفتشت الأعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم»⁽³⁷⁾، ثم «اصطدمت الرجال بالرجال ووقعت الأبطال بالأبطال واشتد النزال وعظمت الأهوال.. ولم يزالوا في الحرب والكفاح والضرب بالصفاح إلى أن ولى النهار..»⁽³⁸⁾، أما في الملحمة: «سمع كشتاسب بخبر الجحافل، فأمر وجمع ولنداء الحرب سمع، وقابل ارجاسب في جمع متلاطم وبقوا تال أسبوعين دون ارتياح»⁽³⁹⁾، ثم «اشتعلت الحرب بين الملكين.. واشتد القتال فارتجفت الأرض من الجحافل وأضاءت السيوف الليالي الضوالم، وسمع صليلها كأنه رعد مخيف أو زلزال عنيف، ومضى الأسبوع الأول وهم مازالوا يتحاربون وعن قوتهم لا يضعفون...»⁽⁴⁰⁾.

التشابهات الأجنبية بين النصوص المحكية القرائية والسرد الروائي - دراسة تطبيقية

مقارنة _____ (العدد الثاني عشر / العدد الرابع / ديسمبر 2023)

- الاشتراك في سرد قصص وأخبار الملوك والأمراء وحفدهم وأبطال المعاصرين لهم، فحكاية عمر النعمان تحكي قصة ملك حكم العرب المسلمين قبل خلافة عبد الملك بن مروان، وما حدث في زمنه وزمن خلفائه من بعده، أي أن أبطال الحكاية ينتمون للطبقة الحاكمة المتمثلة في أبناء الملوك والأمراء، هذا ما يتطابق مضمونا بمحتوى الشاهنامة، التي تروي قصص الملوك الذين تعاقبوا على السلطة في بلاد فارس الذين تجاوز عددهم الأربعين حاكما، فيها ذكر لمنجزاتهم وغزواتهم وبطولاتهم الكثيرة، بإبراز مآثرهم دون التطرق أو الإشارة لدور الرعية في إرساء دعائم البلاد، بحمايتها ومواجهة كل المخاطر التي تهدد أمنها واستقرارها.

- وصف الشخصيات بالسمات والخصال الحميدة والعظيمة كالشجاعة والقوة الجبارة والشهامة والقيادة الحكيمة والآراء الرصينة والعظمة والهيبة، إضافة إلى حسن الصورة الخلقية، جاعلين منهم أبطالاً كاملين لا يشوبهم نقص، ذوي خصال بطولية خارقة، فقد تمكن شركان في حكاية عمر النعمان من القضاء على ثمانين بطريقاً من بطارقة الروم «حمل عليهم بقلب أقوى من الحجر إلى أن طحنهم طحن الدروس وسلب منهم النفوس والعقول»⁽⁴¹⁾، ووصف النزال الدائر بين شركان وإبريزه «وأخذ في الطعن والضرب وصاروا إلى حومة الميدان كأنهما جبلان يصطدمان أو بحران يلتطمان ولا يزالا في قتال وحرب ونزال من أول النهار إلى أن أقبل الليل بالإعتكار»⁽⁴²⁾، ووصف بطولة ضوء المكان «جال في الكفرة حرباً وطعانا وملأ الأرض رؤوساً وأبدانا»⁽⁴³⁾، أما في الملحمة فيظهر الملمح البطولي والحماسي في الشاهنامة كأهم وأغنى عنصر، يبدأ بثورة كاوه الحداد على الملك الضحاك، ليتربع أفريدون صاحب القوة الخارقة على عرش السلطة في إيران، كما أنه يظهر في مواضع عديدة يرتبط بشخصية رستم، الذي لم يظهر مثيل له في العالم كله، إذ تمكن من «قطع سبعة جبال شواحق موصودة ومحروسة بالعفاريث.. واقتحم المغارة المسحورة وفتك بالرقاب الممدودة..»⁽⁴⁴⁾، كما يتبدى جلياً في قوة شخصية البطل كشتاسب الخارقة التي استطاع باعتماده عليها من قهر الحيوانات والوحوش الضارية⁽⁴⁵⁾، وبإمكاننا من خلال الإطلاع على النص الملحمي القول أن الشاهنامة تتمتع بكافة العناصر البطولية، تضم في دواخلها عشرات الملاحم كالبطل رستم وسهراب واسفنديار والإسكندر وزال، وغيرهم من شخصيات تفيض بالحس الحماسي المرتبط بالأمجاد القومية الإيرانية المثيرة للإعجاب والدهشة.

- التوجه الأحادي المتجلى في النصين، الظاهر في انتصار المؤلفين لفئة محددة طيلة المسار السردى للمحتوى القصصي، مع ربط كل الدلالات الإيجابية المتعلقة بالفضيلة بطرف

واحد لا غير، الظاهر في الانتصار دومًا للمسلمين "حكاية عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان" والانتصار دومًا للإيرانيين "ملحمة الشاهنامة"، فرغم طول المنازعات وقوة الخصوم والأعداء وكثرة أعدادهم الهائلة إلا أنَّ هذه الصراعات المتوالية تنتهي دومًا بالتخلص من العدو وسحقه وتحقيق النصر المبين بأقل الخسائر والأضرار، ثم أنَّ القرائن النصية المؤدية لهذه المعاني كثيرة ولا حصر لها في كلا النصين. إذ تظهر لافتة للنظر بصيغة مكررة في الشاهنامة خلال عملية وصف ملوك الفرس، المتحلين في الأغلب بالعدل والإحسان إذ أشاعوا الأمن والسلام واهتموا بالبناء والعمران، ونصروا وطنهم في كل المجاهبات، فرفعوا رايته عاليًا بعد أن انتصفوا بالشيم الفاضلة والأخلاق الرفيعة، التي انعدمت في خصومهم الأتراك، لتبدو طاغية بصورة عجيبة في حكاية عمر النعمان من خلال تكرار نفس العناصر السابق ذكرها بدرجة مكثفة للغاية، تتجلى في مواقع نصية عديدة منها ما ورد في نهاية المتن الحكائي المحقق لانتقام الحفيد كان ما كان من قاتلة عمه شركان وجده عمر النعمان، مع عودة مقاليد الحكم لأصحابها بعد فترة اغتصب فيها العرش وشرّد خلالها أصحاب الحق المسلوب، لتجعل منها ذات طابع بطولي خالص داعم للفئة الحاكمة المسلمة ومنتصر لها في كل الظروف والأحوال. وعليه، وبعد بسط لأهم المتشابهات نلاحظ أن أهم السمات النوعية المرتبطة بالملحمة قد تجلت وتحققت خلال ما سبق، والتي تمثل في المقابل قطيعة بينها وبين جنس الرواية، والتي تجسدت فيما يلي:

— فعل تصوير البطولات والأعمال العظيمة الخارقة للمألوف لدى البشر، الذي يمثل في صميمه موضوع الجنس الملحمي بجدارة «إنَّ الماضي القومي البطولي يكون بمثابة موضوع الملحمة...فعالم الملحمة هو عالم الماضي القومي البطولي، عالم البدايات والقمم، أي عالم الآباء والأجداد، عالم الأولين..»⁽⁴⁶⁾، أي أنها تشترك في نقطتين أساسيتين هما: الماضي القومي/ السمة البطولية.

— تحقق خاصية أساسية للملحمة تتجسد في كونها نشيد أحادي الصوت التي تحقق هي الأخرى سمة الكلية فيها، تستبين خاصة في شخصيات الحكاية حين جعلت منهم قديسين يتمتعون بكل القيم الإيجابية كالكمال والثبات⁽⁴⁷⁾، ذلك أن: «عالم الملحمة مطلق وكامل ومكتمل ومنغلق على نفسه، ولا يوجد فيه مكان لأي نقص»⁽⁴⁸⁾، الأمر الذي أظهر الشخصيات فيها ذوي جمال فائق ونزاهة لامعة وشفافية مرهفة، ذلك أن البطل الملحمي في العالم الملحمي لا سبيل للشك في بطولته أبدًا⁽⁴⁹⁾، ويعود ذلك إلى كون الإنسان الملحمي محروم من كل بادرة

التشابهات الأجنبية بين النصوص الملحمية القرائية والسرد الروائي - دراسة تطبيقية

مقارنة _____ (الجلد الثاني عشر / العدد الرابع / ديسمبر 2023)

إيديولوجية⁽⁵⁰⁾، كم لا يعرف الجو الملحمي إلا مفهوماً واحداً ووحيداً للعالم، مفهوماً منجزاً تماماً وإلزامياً وقينياً بالنسبة للأبطال والمؤلف والسامعين⁽⁵¹⁾.

إذن يمكننا القول استناداً على ما قدمناه آنفاً أنّ حكاية عمر النعمان الألف ليلية تتضمن تقاسيم عديدة ذات نوعية ملحمية خالصة، لا يمكن إغفالها أو التغاضي عن أهميتها في تحديد موقعها ضمن المنظومة الأجنبية مما يجعلها أقرب إلى الجنس الملحمي منها إلى الجنس الروائي. ودرءاً لكل الإشكالات التي قد تظهر إثر انفلات عنصر تشابي ما أو آخر من بين أيدينا، لابد لنا من إتمام آخر حلقات عملية المقارنة، والتي قد تؤكد ما توصلنا إليه أو تنفيه جملة وتفصيلاً!

2.3 الأثر الروائي المغاير:

تتجلى هذه الجزئية الأخيرة في عناصر محددة نذكر منها مايلي:

1/: ترصد رواية الحروب الصليبية تفاصيل انتقال الحكم من سلطان إلى آخر، وتقدم وصفاً لطريقتهم في الحكم والكيفيات التي يتعاملون بها إزاء المشكلات التي تعترضهم، غير أن جوهر الخطاب فيها يُبرز وبعمق آثار الحروب القائمة بين المسلمين والإفرنج على الطبقة المستضعفة من الرعية، كتعرضهم للقتل والحرق والأسر ونهب الأملاك وغيرها من مظاهر المعاناة الشعبية الحقيقية، اهتم فيها معلوف بإبراز الآثار المباشرة وغير المباشرة للصراعات القائمة بين العرب والغرب، المتجلية في المحن والمصائب التي توالى على الأمة، ليؤكد ميزة روائية هامة تتعلق بكون اهتمام الرواية الجدي يستند على وصف الحياة اليومية للبشر العاديين⁽⁵²⁾، على عكس الملحمة التي تهمل هذا الجانب تماماً، كما لا نجد هذا الاهتمام بطبقة الرعية في حكاية عمر النعمان، وسبب ذلك أن الموضوع الأساسي للرواية هو المجتمع المتضمن لحياة الإنسان، فالرواية تشكل: «التجربة الخاصة بالمجتمع»⁽⁵³⁾.

2/: الخطاب في رواية الحروب الصليبية مغاير تماماً لما في حكاية عمر النعمان، إذ يجسد وبجدارة فائقة ما جاء به الباحث الروسي ميخائيل باختين في معرض حديثه عن متضمنات الرواية من الخصائص والصفات المميزة لها عن بقية الأجناس الأدبية، والتي حددها في نقاط معينة، نذكر منها ما له صلة مباشرة بالمحتوى الاختلافي: ينبغي على البطل أن لا يكون بطولياً بالمعنى الملحمي بل يجب أن يجمع الصفات الإيجابية والسلبية معاً، كما يجب عليه أن يجمع الصغر والعظمة معاً، كما يجب أن لا يقدم البطل كإنسان مكتمل وثابت، وإنما كإنسان قيد التطور وتربية الحياة⁽⁵⁴⁾.

إن رواية الحروب الصليبية تقدم صفات شخصياتٍ بطريقة مغايرة لكيفية وصف الشخصيات في حكاية عمر النعمان، ففي الوقت الذي تقدم إطرأً سخيا لابن الخشاب صاحب الدور الأساسي في إدارة البلد⁽⁵⁵⁾، ولأتابك عماد الدين زنكي صاحب حلب والموصل⁽⁵⁶⁾، وكذلك لنور الدين الذي استطاع توحيد بلاد الشام تحت رايته⁽⁵⁷⁾، وغيرها من الشخصيات التاريخية كشيركوه وصلاح الدين والعاقل، تضمنت وصفا واقعيا لشخصيات من القادة والأمراء الذين لا يساورهم التردد أبدا في مسألة التخلي عن جيوشهم فرأى من الأعداء وخوفا من تعرضهم للأسر أو القتل، كهروب ياغي سيان من المدينة مع بعض حراسه عشية اجتياحها من قبل العدو، أو ما قام به قلع أرسلان حين «وثب على صهوة جواده وكرَّ صوب الجبال.. وكذلك فعل معظم الأمراء... أما معظم الجنود فلبثوا على أرض المعركة محاطين بأعدائهم»⁽⁵⁸⁾، هذا ما ليس له نظير في النص المقارن به، فرغم تعرض شركان وضوء المكان للحصار والأسر إلا أنهما لبثا مع بقية الجند في انتظار الإمدادات -حادثة محاصرتهم في المغارة-، لتُحقق لهم بها السمة البطولية الفذة، ترجع علة هذه المفارقة كون الاستقامة الملحمية للإنسان تفسد في الرواية⁽⁵⁹⁾، هذا ما يحيلنا إلى مفهوم البطل الإشكالي في الرواية كخاصية تصدح بعدم تلاؤم مصير البطل مع وضعه الراهن، ليصبح بذلك غير قادر على إعطاء صورة الكلية التي يتميز بها في الملحمة.

3/: إن المحتوى الروائي لنص الحروب الصليبية يقدم خطبا نقديا خالصا للواقع العربي، يجيب خلاله الروائي عن تساؤلات عديدة مرتبطة بأسباب توالي الهزائم العربية. هذا ما لا نجده في حكاية عمر النعمان ولا في ملحمة الشاهنامة.

فعلى الرغم من أن معلوف يسرد أحداثا تاريخية غير أن طريقته في الطرح تُظهر بشكل واضح المشاكل الحقيقية التي كانت تعصف بالعالم الإسلامي آنذاك، المتجلية في ظلم الرعية وفرض الضرائب وسلسلة الخيانات المتكررة، والتعلق الشديد بالسلطة لدرجة تواطئهم مع العدو ضد إخوانهم من المسلمين، وليس ذلك فحسب بل انتشار الاختلاف والضعف وانعدام الاتفاق المفضي إلى تخلي بعضهم عن بعض، واتخاذهم للقرارات الطائشة كالانسحاب والتفرق وسوء تدبيرهم وقلة ثقتهم في بعضهم، فقد عدَّ الأسباب وأبان عن حقيقة الأمور وسعى لإنصاف من ظلمهم التاريخ.

مرَّر كل هذه الأفكار من خلال روايته الحروب الصليبية، باعتبار «الرواية هي الوسيلة الوحيدة التي يمتلكها الفرد لإعادة بناء تاريخه الباطني»⁽⁶⁰⁾، فالمسائل التي تعالجها الرواية جديدة وخاصة، وما تتميز به هو إعادة النظر المستمرة في المعاني والقيم⁽⁶¹⁾، المتجلية في

التشابهات الأجنبية بين النصوص المحكية القرائية والمرد الروائي - دراسة تطبيقية

مقارنة _____ (العدد الثاني عشر / العدد الرابع / ديسمبر 2023)

المقاطع النصية التحليلية الكثيرة التي يقدمها الروائي تفسيراً لبعض الأحداث أو تحرياً لصدقها التاريخي أو عدم صدقها، هذا ما ينعدم تماماً في حكاية عمر النعمان.

4/: انطلاقاً من المحتوى التاريخي الموثق والمعتمد في الأساس على مؤرخين عاصروا الأحداث من أمثال ابن الأثير وعماد الدين الأصفهاني وأسامة بن منقذ، وباعتباره المتكلم قام معلوف بتقديم وجهات نظر تمثل في مضمونها أيديولوجية الخاصة، ذلك أن المتكلم في الرواية هو دائماً وبدرجات مختلفة منتج أيديولوجياً⁽⁶²⁾، وقد عمد أولاً لإدراج آراء المؤرخين الناقلين للأخبار الحربية فحقق بتوظيف ذلك الثنائية الصوتية التي تهتم بإدراج خطاب الآخرين داخل لغة الآخرين⁽⁶³⁾، المجسدة في الكيان الملموس والحي لعلامات اللغة⁽⁶⁴⁾، من خلال محاورته للمعطيات التاريخية، بنقل كلام الآخرين ثم الرد عليها بطريقة جدلية ناقدة لكل الأطراف.

4. خاتمة:

ومن خلال الوقوف على الشخصيات البطلة في هذه الأعمال والقيام بعملية المقارنة بين أشكال حضورها والصور التي جاءت على هيئتها، لاحظنا التماس الظاهر بين شخصيات الحكاية وشخصيات الملاحم، فإلى جانب تقديمها أبطالاً من الطبقة الحاكمة في مراحل تاريخية زمنية متقدمة، فإنها تركز فيهم صفات البطل الملحمي الخارق الذي يأخذ على عاتقه مسؤولية تمثيل جماعته في صراعها مع الجماعات الأخرى، فعبرت عن الأحادية الصوتية التي تتغير والمضمون النظري المتعلق بأهم خصائص الجنس الروائي الذي بينّه باختين، المتجلي في مقولة الحوارية والتعدد الصوتي.

فالحكاية التي تروى قصة "الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان" وحرهم الضروس مع أعدائهم الروم تأخذ صفة البطولات الملحمية، إضافة إلى هذا فإنّ البعد الأسطوري الطاغى في الحكاية يتوافق مع ما جاء به الفردوسي أثناء تقديمه لأبطال ملحمة الشاهنامه، وهو العنصر الغائب في شخصيات رواية الحروب الصليبية، فلا خوارق ولا أفعال تتجاوز قدرات البشر، قدمها أمين معلوف في وصف واقعي لا أثر فيه للمبالغة، وهو ما يشكل علامات أساسية لا يمكن غض الطرف عنها، تؤكد ما توصلنا إليه من نتائج تفضي بانفصال المحتوى الحكائي الألفليبي "حكاية عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان" عن الجنس الروائي، واتصاله بالجنس الملحمي، اتكاءً على الرّكام التنظيري المُنجز حول جنس الرواية، والمتعلق بجهود الباحث الروسي "ميخائيل باختين" في هذا المجال، وبذلك يمكننا القول أنّ هذه الحكاية الواردة في "ألف ليلة وليلة" تحمل خصائص الملحمة لا خصائص الرواية.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1/ Gérard Genette : introduction à l'architexte, in théorie des genres, éd, du seuil. Collection pointir 1986, p 140.
- 2 /أحمد الجودة : من الإنشائية إلى الدراسة الأجنبية ، مطبعة التشفير الفني ، ط1 ، صفاقس 2007 ، ص22.
- 3 /ألف ليلة وليلة : المكتبة الثقافية ، ط1 ، ج1- ج2 ، بيروت 1981.
- 4 / أبو القاسم الفردوسي: الشاهنامه، ملحمة الفرس الكبرى، تر: سمير مالطي، دار العلم للملايين، ط4، بيروت 1986.
- 5 / أمين معلوف : الحروب الصليبية كما رآها العرب، تر: عفيف دمشقية ، طبعة مشتركة دار الفارابي و ANEP، الجزائر 2001.
- 6 /ألف ليلة وليلة: ج1، ص 404 .
- 7 / الرواية: ص53.
- 8 /ألف ليلة وليلة : ج1، من ص 245 إلى ص359.
- 9 / الرواية: ص 259.
- 10 /ألف ليلة وليلة: ج1، ص 257.
- 11/ الرواية: ص 26.
- 12 / الرواية: ص 326.
- 13 / الرواية: ص 22.
- 14 / الرواية: ص 204.
- 15/ Mikhaïl Bakhtine: Epopée et roman , L'étude du roman – questions de méthodologie , traduction: J. Durain (Coll. Recherches Internationales à la lumière du marxisme , N°: 76). Editions sociales, 1973, p 5.
- 16/ Idib , p 3.
- 17 / الملحمة: ص13 .
- 18 / الملحمة: ص 30.
- 19 / الملحمة: ص 7.
- 20 / الملحمة: ص8 .
- 21 / الملحمة: ص 49.
- 22 / الملحمة: ص36- 37.
- 23 / الملحمة: ص 6 .
- 24 / الملحمة: ص 47.
- 25 / الملحمة: ص 48.
- 26/ Mikhaïl Bakhtine: Epopée et roman, p 17.
- 27/ Idib , p 17.

التشابهات الأجنبية بين النصوص الملحمية القرائية والسردي الروائي - دراسة تطبيقية

مقارنة _____ (الجلد الثاني عشر / العدد الرابع / ديسمبر 2023)

28 / الملحمة : ص 23 .

29 / الملحمة: ص 97.

30 / الملحمة: ص 163.

31/ Mikhaïl Bakhtine: Epopée et roman, p 38.

32/ Idib , p 39.

33/ Idib , p 6.

34/ Idib , p 5.

35 / جورج لوكاش: الرواية التاريخية، تر: صالح جواد الكاظم، المجلس الأعلى للثقافة، دط، القاهرة 2005، ص 89.

36 / نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن 2006، ص 117.

37 / ألف ليلة وليلة: ج1، ص 369.

38 / ص ن: ص 270 .

39 / الملحمة: ص 102.

40 / الملحمة، ص 49.

41 / ألف ليلة وليلة : ج1، ص 275.

42 / ص ن : ص 282.

43 / ص ن : ص 370.

44 / الملحمة: ص 48.

45 / الملحمة: ص 98 / 99 / 100.

46/Mikhaïl Bakhtine: Epopée et roman, p 14.

47/ Idib , p 15 / 16.

48/ Idib , p 17.

49 / ميخائيل باختين : الخطاب الروائي ، تر: محمد برادة، دار الأمان ، الرباط 1986، ص 129.

50/ Mikhaïl Bakhtine: Epopée et roman, p 34.

51/Idib , p 34.

52 / إيان واط: نشوء الرواية، تر: ثائر ديب، دار الشرقيات ، ط1، القاهرة 1997، ص 59.

53 / ميشيل زيرافا: الأسطورة والرواية، تر: صبيح حديدي، دار الحوار ، ط1، سوريا 1985، ص 74.

54 / Mikhaïl Bakhtine: Epopée et roman, p 11.

55 / الرواية: ص 126.

56 / الرواية: ص 162.

57 / الرواية: ص 215.

58 / الرواية: ص 35.

59 /Mikhaïl Bakhtine: Epopée et roman, p36.

60/ أحمد الجودة : من الإنشائية إلى الدراسة الأجناسية، ص 16 / 17.
61 / Mikhaïl Bakhtine: Epopée et roman, p30.

62/ ميخائيل باختين : الخطاب الروائي، ص 20.

63/ م ن، ص 81.

64/ م ن، ص 14.

قائمة مراجع البحث:

المصادر:

- ألف ليلة وليلة : المكتبة الثقافية ، ط1، ج1- ج2 ، بيروت، 1981.
- أبو القاسم الفردوسي: الشاهنامه ، ملحمة الفرس الكبرى ، تر: سمير مالطي، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، 1986.
- أمين معلوف : الحروب الصليبية كما رآها العرب ، تر: عفيف دمشقية ، طبعة مشتركة دار الفارابي و ANEP، الجزائر، 2001.

المراجع:

- أحمد الجودة : من الإنشائية إلى الدراسة الأجناسية، مطبعة التشفير الفني ، ط1، صفاقس 2007.
- إيان واط: نشوء الرواية، تر: ثائر ديب، دار الشرقيات للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 1997.
- جورج لوكاش: الرواية التاريخية، تر: صالح جواد الكاظم، المجلس الأعلى للثقافة ، دط ، القاهرة، 2005.
- ميخائيل باختين : الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 1986.
- ميشيل زيرافا: الأسطورة والرواية، تر: صبحي حديدي، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 1985.
- نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2006.
- Gérard Genette : introduction à l'architexte, in théorie des genres, éd, du seuil. Collection pointir 1986.
- Mikhaïl Bakhtine: Epopée et roman , L'étude du roman – questions de méthodologie , traduction: J. Durain (Coll. Recherches Internationales à la lumière du marxisme , N°: 76). Editions sociales, 1973 .